ISSN: 2750-6142

المجلد 3، العدد 9، 2024
Vol: 3 / N°: 9 (2024)

المجلة العربية لعلم الترجمة
Arabic Journal for Translation Studies
OPEN ACCESS

Sociology and the Question of Renewal in the Digital Age

Zakaria Mezouari*
Mohammed First University, Oujda, Morocco
Email : pr.zakariamez@gmail.com
Orcid : 0009-0000-3291-4083

Received	Accepted	Published
30/9/2024	31/10/2024	31/10/2024

doi : 10.63939/AJTS.64ed9j25

Cite this article as : Mezouari, Z. (2024). Sociology and the Question of Renewal in the Digital Age. *Arabic Journal for Translation Studies, 3*(9), 330-341.

Abstract

The aim of this study is to stand on contemporary techno-social transformations, and the need for sociology to change its research tools and methods and work on renewing them. Today, the digital revolution has left its impact on all human activities and created a new social reality with characteristics and forms that differ from the previous reality, which is the virtual society. Therefore, this study tried to stand at the spirit of the era in which we live, with the aim of emphasizing that we are facing a new historical stage in the life of humanity, which is the digital stage, which requires a new cognitive framework that helps the researcher understand and interpret the phenomena of the network society.

Keywords: Spirit of the age, Virtual Society, Digital Identity, Space, Network

© 2024, Mezouari, licensee Democratic Arab Center. This article is published under the terms of the Creative Commons Attribution-NonCommercial 4.0 International (CC BY-NC 4.0), which permits non-commercial use of the material, appropriate credit, and indication if changes in the material were made. You can copy and redistribute the material in any medium or format as well as remix, transform, and build upon the material, provided the original work is properly cited.

* PhD researcher at the Laboratory of "Cultural Heritage and Development", Faculty of Arts and Humanities, Oujda, Morocco.

المجلة العربية لعلم الترجمة
Arabic Journal for Translation Studies
OPEN ACCESS
المجلد 3، العدد 9، 2024
Vol: 3 / N°: 9 (2024)
ISSN: 2750-6142

علم الاجتماع وسؤال التجديد في العصر الرقمي

زكرياء مزواري*
جامعة سيدي محمد بن عبد الله، فاس، المغرب
الايميل: pr.zakariamez@gmail.com
أوركيد: 0009-0000-3291-4083

تاريخ الاستلام	تاريخ القبول	تاريخ النشر
2024/9/30	2024/10/31	2024/10/31

doi: 10.63939/AJTS.64ed9j25

للاقتباس: مزواري، زكرياء. (2024). علم الاجتماع وسؤال التجديد في العصر الرقمي. *المجلة العربية لعلم الترجمة*، *3*(9)، 330-341.

ملخص

تدعو هذه الدراسة إلى ضرورة تجديد أدوات ومناهج البحث السوسيولوجي في ظل التحولات التكنو-اجتماعية المعاصرة. ذلك أن الثورة الرقمية اليوم، تركت آثارها الكبيرة على مختلف الأنشطة الإنسانية، وخلقت واقعاً اجتماعياً جديداً، له صفات وأشكال تختلف عن الواقع السابق، كما له فاعلون الجدد، وهو المجتمع الافتراضي. لذلك، حاولت هذه الدراسة أن تقف عند روح العصر الذي نعيش فيه، وأن ترصد تجليات هذه الروح التقانية، بهدف التنبيه على أننا أمام مرحلة تاريخية جديدة في حياة البشرية، وهي المرحلة الرقمية، والتي تحتاج إلى إطار معرفي جديد يساعد الباحث على فهم ظواهر المجتمع الشبكي وتفسيره.

الكلمات المفتاحية: روح العصر، المجتمع الافتراضي، الهوية الرقمية، المجال، الشبكة

©2024، مزواري، الجهة المرخص لها: المركز الديمقراطي العربي.
نُشرت هذه المقالة البحثية وفقًا لشروط Creative Commons Attribution-NonCommercial 4.0 International (CC BY-NC 4.0).
تسمح هذه الرخصة بالاستخدام غير التجاري، وينبغي نسبة العمل إلى صاحبه، مع بيان أي تعديلات عليه. كما تتيح حرية نسخ، وتوزيع، ونقل العمل بأي شكل من الأشكال، أو بأية وسيلة، ومزجه وتحويله والبناء عليه، طالما يُنسب العمل الأصلي إلى المؤلف.

* باحث دكتوراه في مختبر "التراث الثقافي والتنمية"، في كلية الآداب والعلوم الإنسانية بوجدة، المغرب.

مقدمة

ارتبط ميلاد علم الاجتماع بسياق ظهور العلوم الإنسانية في القرن التاسع عشر، كعلوم سعت إلى دراسة الإنسان في كافة الأبعاد المميزة له داخل نظام الطبيعة، وذلك من أجل فهم وتفسير هذا الظاهرة بطريقة علمية موضوعية، ووفق تصور عقلاني بلورته العلوم التجريبية وأثبت نجاعته في دراسة الظواهر المادية. لذلك، كانت المحاولات الأولى لرواد السوسيولوجيا متأثرة بالنّزعة العِلموية، حيث سعت إلى استعارة مفاهيم ومناهج من العلوم الحقة التي أبانت عن قدرتها في فكّ أسرار الطبيعة وإزالة السّحر عنها، ومحاولة تطبيقها على الظواهر الاجتماعية بغية استنباط القوانين المتحكّمة فيها، والابتعاد عن كلّ أشكال التّفسير اللاّهوتية والميتافيزيقية. ثمّ توالت بعد ذلك الأبحاث السوسيولوجية وتطورت الأدوات المعرفية من أجل دراسة الواقع الأوروبي، وفهم التحوّلات الاجتماعية الكبرى التي كان يمرّ منها الغرب بعد الهزّات التي أحدثتها الثّورة الصناعية، وما رافقها من تغيّرات عميقة في أنماط الإنتاج. هكذا، ارتبطت السوسيولوجيا منذ بدئها بسؤال التغير الاجتماعي، كسؤال سعى إلى فهم الواقع الجديد الذي أفرزته موجة التصنيع، ثمّ تتابعت فيما بعد التغيّرات العميقة التي مسّت ليس المجتمع الأوروبي فحسب بل المجتمع العالمي، ويأتي على رأسها الثورة التكنولوجية الرقمية، التي غيّرت الكثير من نظرة الإنسان لذاته ولمحيطه الخارجي، الشيء الذي فرض على الباحثين المحسوبين على ميدان علم الاجتماع تجديد العدة النظرية والمنهجية، من أجل فهم التحولات التكنو-اجتماعية المعاصرة، وإيجاد الخيط الناظم المفسّر لتداعيات هذه الثورة الرقمية على مجمل نشاطات الإنسان.

1. الشبكة كروح للعصر

لكلّ حقبة تاريخية في مسار الحضارة الإنسانية خصائصٌ وسماتٌ بارزةٌ تكون بمثابة مرآةٍ عاكسة لروح ذلك العصر؛ ولا غرو إن قلنا بأن المناخ الفكري المميّز للحقبة الراهنة هو مناخ **تقانيٌّ** بامتياز، أو بتعبير الباحث الكندي "دارن بارني" **شبكي** محض (بارني، 2015، ص12). إن هذا **المبدأ** أو هذه **الرّوح** الكامنة خلف ظواهر الحضارة الحالية، والمحرّكة لوجودها، والمبثوثة في كلّ النشاطات الإنسانية، تفرض على الباحثين المهووسين بالإمساك بالخيط الناظم لظواهر العصر بالتقاط تجليات هذه الرّوح، ونحت مفاهيم جديدة خاصة بها أو إعادة بناء مدلولات الدّوال السّابقة، حتّى يصير "ما صدقها" قادراً على أن يغطّي ما استجدّ من ظواهر، وقادراً على النّفاذ إلى أعماقها.

كثيرة هي المحاولات الجسورة التي أقدمت على وضع مُسمّيات واصفة لطبيعة المرحلة المعاصرة التي تعيشها البشرية، وعديدة هي التّسميات التي ركّزت على جانب من جوانب هذه الحقبة ووضعتها كمدخل لقراءة الواقع المعاصر الجديد؛ فمنها من استند على المنظور الفلسفي في كيفية قراءة تاريخ الأفكار وتطورها، ورأى أن عنوان عصر هذه الفترة هو "**ما بعد الحداثة**"، ما دامت المجهودات الفلسفية انصبت على مراجعة إرث الحداثة وتقليب التفكير في فلسفة الأنوار وتفكيك سردياته الكبرى، من قبيل مراجعة مفاهيم: التّقدم، العقل، التّنوير، الحرية والصراع الطبقي ... إلخ (بارني، 2015، ص30). ومنهم من اقترب من ظواهر العصر من زاوية اقتصادية، ليضع مصطلح "**ما بعد الصناعة**" كمصطلح يحاول وصف النقلة التي طرأت على المنظومة الاقتصادية وتحوّل نمط إنتاجها من الصناعة والتصنيع إلى آخر قائم على الخدمات، حيث تعد فيه المعلومة والمعرفة مورداً أساسياً في الاقتصاد، بعد أن كان الجُهد مركزاً على العمل ورأس المال (بارني، 2015، ص16). وهناك

لفيف آخر من الدارسين المهتمين بالتكنولوجيا الحديثة، والذين رأوا فيها الميسم المميز لقراءة واقع العصر، حيث تنتظم جلّ أنشطة الإنسان سواء الاجتماعية منها أو السياسية أو الاقتصادية عبر شبكة الحواسيب الدقيقة، والتي تولي الأهمية لإنتاج "القيم المعلوماتية" عوض "القيم الإنتاجية"، وذلك بعد موجة الركود الاقتصادي وأزمة الطاقة واستنزاف الموارد الطبيعية (بارني، 2015، ص18)، هذا النموذج الجديد الذي قادته التّقانة تبلور في سبعينيات القرن العشرين مع اليابان، تحت اسم "**مجتمع المعلومات**". أما الباحثون السوسيولوجيون المنشغلون بواقع تطور الاجتماع البشري، فقد تعددت عندهم التّسميات الواصفة للتحولات الطارئة على الحياة المعاصرة، والتي كانت للتّقانة اليد الطولى فيها، ولعل أبرز أطروحة في هذا الصدد هي أطروحة "**المجتمع الشبكي**"[1] التي سعت إلى توصيف الواقع الجديد، ورصد التغيرات التي مسّت اقتصاده وسياسته وثقافته. هذا التشكيل الاجتماعي الجديد، أعاد صياغة الكثير من الأنشطة الإنسانية التي اخترقتها التّقانة، بدءاً بالجانب الاقتصادي الذي صار شبكياً وعلى نحو عالمي، حيث تعدّ فيه المعلومة رأسمالاً حقيقيّاً (الرأسمالية المعلوماتية)، مروراً بتداعياته على المستوى السياسي وما يعنيه من تراجع نسبي لقدرة الدولة على تنظيم سلطتها، وانتهاء بتغير دلالات مفهوم الزمان والمكان (بارني، 2015، ص42)، وأثره على تمثّل الهوية الاجتماعية والثقافة المحددة قومياً، والتي صارت تنحو أكثر من أي وقت مضى منحى التّشظي والسّيولة [2].

إنّ هذه المحاولات المتعدّدة، وإن تباينت منطلقاتها المعرفية، فهي تصبّ في اتجاه واحد وهو الاقتراب من روح العصر ومن المبدأ المحرّك لظواهره المتنوّعة؛ ذلك أن هذه العملية من شأنها أن تضيء للباحث الطريق نحو مراجعة الأطر النظرية التي كان يقرأ بها الواقع سابقاً، وتساعده على تفكيك المقولات الذهنية التي كانت تسعى إلى تجميده ونمذجته في قوالب عقلية مجردة، والتي هي بطبيعتها تقصي أشياء باعتبارها غير دالة حسب النموذج أو البراديغم الذي يحلّل به الدّارس، وتعطي الأولوية لأشياء أخرى، حتّى تنسجم مع بنائه الفكري [3]. وتكون هذه المراجعة مطلوبة، بل وضرورية في العلوم الإنسانية كي تجدّد عدّتها المنهجية والمفاهيمية، ما دامت اليوم أمام واقع افتراضي أو إلكتروني جديد، جاءت به التكنولوجيا الرقمية، وفرضته كمتغير مستقل بقوة، لما بات له من تأثير جليّ على الشّرط الإنساني.

2. علم الاجتماع في سياق العصر الرقمي

أحدثت التكنولوجيا الحديثة تغيرات جديدة على الحياة الإنسانية، وخلخلت الكثير من المفاهيم التي كان معمولاً بها لمدة زمنية في أوساط الجماعات العلمية، حتى بات الحديث اليوم عند بعض الباحثين عن الثورة الرابعة، التي انضافت إلى سلسلة الثورات الكبرى التي ألحقت جُرحاً نرجسياً بالذات الإنسانية؛ فإذا كانت النظرية الكوبرنيكية في مجال علم الفلك في القرن السادس عشر أزاحت مركزية الأرض لصالح مركزية الشمس، وما يعنيه ذلك من انهيار للمنظومة العلمية السابقة ببعدها الفلسفي الميتافيزيقي، فإنها قد أعادت تجديد التفكير في مسألة مكانة الإنسان ودوره في الكون [4]، ثمّ توالت بعد ذلك المنجزات العلمية التي حطّمت الكثير من المعتقدات والقناعات الرّاسخة حول الذات الإنسانية، ويأتي على رأسها ثورة "داروين" البيولوجية في القرن التاسع عشر التي أزاحت الإنسان من مركز المملكة البيولوجية، وصار ينظر إليه ككائن حي محكوم بنفس القوانين الطبيعية التي تحكم كل الكائنات الحية [5]، ثمّ ثورة التحليل النفسي في ميدان العلوم الإنسانية مع "فرويد"، التي أثبتت أن الأنا البشري ليس سيّداً في بيته، وأن سلوكه ليس دائماً محدداً بالعقل، بل تلعب الدوافع النفسية اللاواعية دوراً

أساسياً في ذلك (دولة، 1989، ص44). أما عن الثورة الجديدة، والتي اصطلح عليه البعض بالثورة الرابعة، فهي بدورها ألحقت إهانة بالذات الإنسانية وأحدثت جُرحاً نرجسياً في أعماق كينونتها؛ ذلك أن "ثورة المعلومات" فنّدت مزاعم الإنسان بأنه الكائن الوحيد المتّصف بخاصية الذّكاء، ولا أحد بقدرته المنافسة على هذه الصّفة، إلاّ أنّ تطوّر الآلة اليوم كشف أن ذكاءها الاصطناعي لا يقلّ أهمية عن الذّكاء الطبيعي البشري، بل صار يهدّد الشّرط الإنساني [6].

إنّ حضور الآلة-الذكية في كلّ نشاطات الإنسان المعاصر، وتوقف جزء كبير من الحياة اليومية عليها[7]، دفع ببعض الباحثين إلى نحت مفاهيم جديدة تحاول وصف واستشراف الطور الذي دخلته الإنسانية، من قبيل "الإنساني المزيد" أو "ما بعد الإنسانية" أو "الإنساني المعزز" أو "السايبورغ" [8] من جهة، ودفعت بالبعض الآخر إلى ضرورة إعادة النظر في سلسلة الحدود الجامعة والمانعة للكائن الإنساني من جهة أخرى؛ فاليوم صارت الذات الإنسانية مرقمنة أكثر من أي وقت مضى، وبات تأثير وسائل التكنولوجيا الرقمية المتنوعة على أفعال وتصرفات الإنسان مسألة لا يمكن إنكارها أو القفز عليها [9] ، لذلك يبقى الحديث عن الحد الجديد وهو "الرقمي" أمراً مشروعاً، ما دام قادراً على إعادة تشكيل علاقة الأنا بذاتها وبالعالم المحيط بها؛ فإذا كانت الذات فيما سلف، تدرك أصالتها وتمايزها عبر مكوّن الغير، الذي يشبهها ويختلف عنها في الوقت نفسه، حيث يكون وجوده بمثابة قنطرة تعبر من خلالها الذات إلى نفسها من أجل تحقيق الوعي بذاتها وإدراك وجودها، فإننا الآن أمام وسيط جديد وهي الآلة، التي صارت تلعب دور الغير في عملية الوساطة، وبالتالي أصبحت مسألة وجود الآلة ضرورية للأنا لتحقيق هذا الشرط [10].

إنّ هذا التغيّر الذي طال الأنا في العصر الرقمي، انعكست ظلاله أيضاً على المستوى السوسيولوجي؛ إذ مع الثورة التكنولوجية الرقمية بدأت تتغير الكثير من وظائف المؤسسات التقليدية الساهرة على عملية التنشئة الاجتماعية [11]، كعملية تُدمج الأفراد في المجتمع وتكسبهم معاييره؛ فالأسرة أو المدرسة أو غيرها من المؤسسات اليوم لم تعد وحدها مصدر القيم بالنسبة للفرد، وصارت وسائل الإعلام الجديد منافساً قوياً في تنشئة هذا الجيل الرقمي [12]، وذلك من حيث قدرتها على توجيه أفعال الفرد وإعادة تشكيل قناعاته ومواقفه، وما يعنيه ذلك من تشظي الهوية الجماعية التي كانت تشدّ من تماسك المجتمع ومن إضفاء طابع الإجماع على السلوك والقيم [13].

إن تكسير وسائل التكنولوجيا الرقمية لسيرورة التنشئة الاجتماعية العمودية الصارمة، جعلت الفرد في وضعية تحرر من الضبط والمراقبة والقيود أكثر من السّابق؛ ذلك أن قوة هذه الوسائل تكمن في قدرتها على مخاطبة كل فرد على حدة، تبعاً لذوقه ومزاجه واختياراته ومعارفه، وبالتالي وقع تراجع في أدوار المؤسسات الاجتماعية والسياسية الكبرى في تأطير وعي الفرد، وأمست الهوية الفردية والجماعية في وضعية تشظّي وسيولة وتفكّك.

لقد ساهمت هذه الثورة التكنولوجية في إعادة بعث مفهوم المجتمع إلى ساحة الجدال الفكري، وذلك بعد إفراز وسائل الإعلام والاتصال المعاصرة لمجالات جديدة للتواصل والتفاعل بين الأفراد، مكنتهم من تكوين جماعات افتراضية حديثة، وخلق مجتمعات إلكترونية جديدة، مختلفة كل الاختلاف عن الأشكال السّابقة، من حيث تمثّلها لدلالات الزمان والمكان والثقافة العابرة للحدود الجغرافية.

فإذا كان مفهوم المجتمع يشير في دلالته العامة إلى "مجموعة من الأفراد الذين توجد بينهم علاقات منظمة ومصالح متبادلة" (Laland,1976, p1001)، ويحيل كذلك على "مجموعة من الناس يعيشون في حيّز معيّن، ويخضعون لنظام واحد من السلطة السياسية، وهم على وعي بأن لهم هوية تميّزهم من الجماعات الأخرى المحيطة بهم" (بارني، 2015، ص241) ، ويتميز ببعض الخصائص كوجوده في حيز جغرافي معين (Territory)، بنظام مغلق (Close)، وقائم على علاقات غير رسمية(Informal relationships)، بالإضافة إلى وجود القيم والمعتقدات المشتركة (Common values and beliefs) ، والتفاعل المنظم (Organized interaction)، ثم الشعور الجماعي القوي (Strong group feeling)، والتشابه الثقافي (Cultural similarity) (Yakkaldevi , 2013, p 1)، فإنّ هذه المدلولات ستتغير مع التكنولوجيا الرقمية التي خلقت واقعا رقميا جديداً، ومجتمعا افتراضيا موازيا مختلفا في معناه عن الأول؛ فهذا المجتمع لم يعد منغلقا على ذاته، أو يعيد إنتاج قيمه ومعتقداته المشتركة المقوية للروابط الاجتماعية، كما أن أفراده لم يعودوا متّسمين بالتّشابه أو يقتسمون نفس المنظور للعالم.

لقد ساهم التطور التقاني في تغير بيئة المجتمع التقليدي، ونقلها من بيئة مادية كانت مسرحاً للتفاعلات الاجتماعية إلى بيئة افتراضية جديدة، الأمر الذي نتج عنه ظهور أنماط غير مسبوقة من الجماعات ومن العلاقات الاجتماعية والتفاعلات التي لا تقترن بهوية أو قومية بعينها، ولا ترتبط بإطار مادي محدد المعالم والأبعاد، كما لا تشترط هذه الجماعات بيئة جغرافية واحدة أو بناء معين كما هو متعارف عليه في الجماعات التقليدية (بركات، 2014، ص274). هذا التغير الذي طرأ على مفهوم الجماعة، هو الذي لفت انتباه الباحثين المهتمين بالمجال السيبيري (Cyberspace) إلى ضرورة إيلاء الأهمية للأشكال الحديثة من الجماعات الافتراضية التي يجمعها الرابط الرقمي، كما هو الأمر مع الباحث الأمريكي "هوارد راينغولد" الذي كان من الباحثين الأوائل الذين خصصوا دراسة علمية للمجتمع الافتراضي وذلك سنة 1993، وجاء في معرض تعريفه لهذا المجتمع: "إن المجتمعات الافتراضية عبارة عن تجمعات اجتماعية تنشأ من شبكة الإنترنت عندما يستمر عدد كاف من الأشخاص في تلك المناقشات العامة لفترة كافية، وبقدر كاف من الشعور الإنساني، لتشكيل شبكات من العلاقات الشخصية في المجال السيبيري" [(14)].

وفي سياق آخر، سعى بعض الباحثين إلى تعيين هذا المجتمع الافتراضي "بوصفه عالما بينيا يتموقع بين المتخيل والفعلي، أو بين الوجود بالقوة والوجود بالفعل، بلغة أرسطية؛ إذ لا يعرّف إلاّ من خلال مفهومي اللامجالية، والترحال الموضعي حيث يتعلق الأمر بفضاء ذهني، مجرد، رمزي، وسيط، يؤشر إلى تشظي مفهوم المرجع الوحيد. إنه يقوم بذلك على أساس «اقتصاد تجربة الحضور الفعلي–الفيزيقي»، «عبر الوجود على نحو مشترك» من «دون الوجود مع »" (قاوقاو، 2019، ص91). هذا الوجود لا يمكن تلمس مؤشراته إلاّ من خلال ما يتركه المبحر عبر شبكة الأنترنت من أثر رقمي، فتكون بذلك ماهية هذا المجتمع الافتراضي هي حصيلة ما يتركه الأفراد من رواسب رقمية على المواقع والصفحات الإلكترونية ونوعية الأنشطة التفاعلية التي انخرطوا فيها، وبذلك تتحول إلى "وثائق اجتماعية جديدة" أو "أرشيف حي" بإمكانه أن يمثل مادة خصبة للاشتغال السوسيولوجي (قاوقاو، 2019، ص91).

هذه الصيغة البينية التي يحتلها المجتمع الافتراضي بين ما هو متخيل وما هو واقعي، أوحت للعديد من الباحثين في علم الاجتماع ببوادر تشكّل جماعات اجتماعية افتراضية، وجدت في العالم الرقمي ضالتها؛ بل إن الكثير منهم بات يتحدث عن

إحياء "المكان الثالث" كمجال افتقدته المجتمعات الغربية الحديثة جرّاء موجة التصنيع، وما رافقها من تفكك للروابط الاجتماعية، وانتصار لقيم الفردانية. لعب هذا المكان في السابق أدواراً مهمةً في تشكيل المجتمعات المحلية المعروفة بقوة لحمتها الاجتماعية، حيث نظرت إليه كفضاء يرتاح فيه النّاس من أعباء الحياة اليومية، وموقع يتخلصون فيه من قيود العمل والشكليات الرسمية، لكن مع ارتفاع وتيرة التحديث المتسارعة في الغرب بدأ الفضاء في التآكل والتراجع والانكماش (رحومة، 208، ص63).

لقد ساهم الأنترنت من هذا المنظور في تعويض ضياع المجتمع المحلي، وذلك بخلقه لتكوينات مجتمعية جديدة، لقت تفاعلا وقبولا لدى المشاركين على الشبكة، وساعدهم على إيجاد "أمكنة ثالثة" رقمية، بوسائط مثل: غرفة الدردشة/المحادثة، البريد الالكتروني، استخدام النص أو الأصوات أو الصور، إلخ. وكنتيجة لذلك، "يمكن القول إن المجتمع المحلي الافتراضي، حقق ما لم يحققه المجتمع المحلي الطبيعي، بما توفره تكنولوجيا المعلومات والاتصالات من تقنيات وخدمات عالية المستوى. فهو مجتمع على الخط، يتفاعل في بيئة إلكترونية-افتراضية، ويشترك أعضاؤه في كثير من الروابط والاهتمامات والأنشطة الاجتماعية المشتركة" (رحومة، 208، 64).

خاتمة

ختاماً، يبدو أن التحولات التكنولوجية الحديثة كان لها أثر كبير على أنظمة الاتصال في المجتمع، وأن هذا الأخير استثمر مكتسبات التقانة وخلق أنماط غير مسبوقة من الجماعات الافتراضية، وبعلاقات وتفاعلات اجتماعية جديدة، لا تقل أهمية عن الأشكال السابقة للتفاعل الاجتماعي. وهذا ما دفع بعلم الاجتماع كعلم مهتم بموضوع العلاقات الاجتماعية أن يعيد بناء تعريفه للموضوع الذي كان يشتغل عليه سابقاً؛ ذلك أن الوسط الاتصالي الجديد، ولّد واقعاً علمياً مغايراً، وهو العلاقات الاجتماعية الرقمية، ممّا يفترض تجديد العدة النظرية والمنهجية، حتى يتسنى فكّ شفرات هذا المجتمع البشري الرقمي، وفهم وتفسير الكثير من ظواهره.

الهوامش

1- تعد محاولات عالم الاجتماع "مانويل كاستلز" من المحاولات العلمية الجريئة التي سعت إلى سبر أغوار روح الحقبة المعاصرة، وتشهد على ذلك حجم الكتابات التي أولاها للثورة الرقمية وتداعياتها على الاقتصاد والسياسة والاجتماع، ولعل ثلاثيته الشهيرة خير دليل على ذلك، أنظر:

- The Rise of the Network Society, The Information Age: Economy, Society and Culture Vol. I.
- The Power of Identity, The Information Age: Economy, Society and Culture Vol. II.
- End of Millennium, The Information Age: Economy, Society and Culture Vol. III

2- يعود مفهوم "السيولة" إلى عالم الاجتماع المعاصر "زيغمونت باومان" (1925-2017)، حيث سعى في مؤلفاته العديدة إلى قراءة الوضع الحالي للمجتمعات المعاصرة، والتي تتسم بسيادة مبدإ اللايقين وانعدام الأمن والتغير السريع والاستهلاك المفرط

وتنامي النزعة الفردانية والضبط التكنولوجي الصارم. وجل نصوصه تنويعات لفكرة واحدة وهي "المجتمع السائل"، ومن بينها نذكر:

Liquid Modernity. Liquid Life. Liquid Love.. Liquid Fear. Liquid Times.The Individualized Society.Consuming Life. Culture in a Liquid Modern World...etc.

3- هذا الإشكال معروف في الأدبيات المهتمة بابستمولوجيا العلوم الإنسانية، التي تسعى إلى موضعة الظاهرة الإنسانية، على غرار موضعة الظاهرة الطبيعية، حتى تحقق شرط الموضوعية باعتباره شرطاً ضروريا لتحقيق العلمية. لكن، هذا الشرط في مجال الإنسانيات من الصعب بلوغه، نظراً لكون الدارس والموضوع المدروس هو الإنسان نفسه وليس الطبيعة، وما ينجم عن هذا من تدخل الجوانب الذاتية والقناعات الإيديولوجية في عملية التحليل والتفسير. لذلك تبقى اليقظة الابستمولوجية والحذر المعرفي من المفاهيم والنماذج المعرفية المستعملة في تحليل الظواهر الإنسانية من المطالب التي ينبغي للباحث التسلح بها.

4- "ترتبط هذه الإهانة أو الثورة العلمية أو القطيعة الابستمولوجية باسم كوبرنيك وذلك في مجال الكسمولوجيا: لقد كان الإنسان يعتقد وفقا للكسمولوجيا الكلاسيكية، ما قبل الكوبرنيكية، أنه يسكن أجمل كوكب ممكن وأنه يحتل بهذه السكنى مركز الكون. فبين له كوبرنيك أن الأرض ليست إلاّ جزيئة زهيدة في النظام الكوني. بهذا الاكتشاف أنزل كوبرنيك الإنسان من على عرشه الكسمولوجي الكلاسيكي فأحس، ربما لأول مرة في التاريخ، بأنه مدعو إلى إعادة النظر في محل إقامته".

سليم دولة، **ما الفلسفة**، ط2 (الدار البيضاء: دار قرطبة، 1989)، ص 43.

5- "فما كان من نظرية أصل الأنواع: النشوء والارتقاء إلاّ أن جوبهت من معاصريها إذ رأى الأنا البشري وفقا للتشريط الثقافي أن هذا الاكتشاف البيولوجي قد خدش الأنا البشري. إذ ردم تلك الهوة العميقة واختزل تلك المسافة بين الإنسان والحيوان، فكان هذا الاكتشاف بمثابة بيان عقوق ووقاحة ضد التعاليم الإنجيلية، ومع ذلك أجبرت الإهانة البيولوجية الذات الإنسانية على مراجعة موروثها الثقافي. فبعد داروين كما يقول فرنسوا جاكوب ((لا يمكن أن ننظر إلى الإنسان نفس النظرة التي نظر له بها القدماء))".

سليم دولة، مرجع سبق ذكره، ص 43-44.

6 - "في ضوء الثورة الرابعة، صرنا نفهم أنفسنا على أننا كائنات تعيش مع مثيلاتها من الكائنات الحية المعلوماتية".

فلوريدي لوتشيانو، **الثورة الرابعة: كيف يعيد الغلاف المعلوماتي تشكيل الواقع الإنساني**، ترجمة لؤي عبد المجيد السيد، سلسلة عالم المعرفة، (الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، العدد 452، سبتمبر 2017)، ص 132.

7- "فنحن اليوم نتحدث عن حواسب ذكية وشاشات ذكية وصواريخ ذكية وقذائف ذكية وسيارات ذكية وأبنية ذكية ومدن ذكية وغسالة ذكية وآلة للنسخ ذكية وآلة للتصوير ذكية، إلخ. وهو ما يفسر رغبة بعض الأطراف في جعل آلات القرن الواحد والعشرين قادرة على محاكاة الإنسان بشكل ذكي. الأمر الذي جعلها تتوقع أن تترك مجتمعات المستقبل معظم أنشطتها للآلات الذكية، من قبيل معالجة المعلومة واتخاذ القرار والسياقة الآلية وتنظيم السير وإطفاء الحرائق، وغيرها. فكل شيء في حياتنا الخاصة والمهنية سيكون مبرمجا بذكاء. هذا التطور السريع للتقنية من شأنه أن يجعل حياتنا كحاسوب مبرمج، ليصبح

الإنسان محاصرا في حياته الخاصة والعامة بما هو آلي. بالتالي، ستتقلص مهمة الإنسان ليصبح مجرد مراقب للأزرار؛ فكل ما عليه فعله هو الضغط على هذا الزر أو ذاك، لتتولى الآلة ما تبقى. فلن يضطر المرء مستقبلا إلى مغادرة غرفة نومه؛ فكل شيء سيكون في متناوله، وبأقل مجهود ممكن. فكل ما عليه هو الضغط على هذا الزر أو ذاك".

حسان الباهي، **الذكاء الصناعي وتحديات مجتمع المعرفة: حنكة الآلة أمام حكمة العقل**، (الدار البيضاء: أفريقيا الشرق، 2012)، ص 7.

8- من بين هذه المفاهيم الأجنبية -التي لا زالت تطرح مشكلة على مستوى نقلها إلى اللغة العربية- نذكر:

L'humain augmenté- Posthumanisme-Tranhumanisme-Human enhancement-Cyborg…etc.

* وتجدر الإشارة أن هذه الموجة الجديدة من "العلم-تقنية" طرحت الكثير من التحديات الأخلاقية عند المهتمين بمآلات اكتساح الآلة للحياة الإنسان؛ فاليوم صار الحديث أكثر من أي وقت مضى عن إمكانية "تطويل العمر البشري" و"استدامة الشباب وتأخير الشيخوخة" و"الإشفاء من الأمراض المزمنة والمستعصية" و"تقوية الذاكرة باستنبات شرائح إلكترونية"...إلخ، هذا الأمر دفع بالباحثين المدافعين عن الطبيعة الإنسانية إلى إعادة استدعاء سؤال "القيم" أمام هذا الجموح العلمي المعاصر، يقول محمد سبيلا: "تعرض هذا المشروع لكثير من التهجمات والانتقادات بل الشتائم. فقد اتهم بأنه داروينية جديدة خطيرة وبأنه تكنوفاشية جديدة، وإعلان حرب ضد النوع الإنساني، ويوتوبيا تقنية حالمة وهذيان، ونوع جديد من السحر، وكابوس، بل ذهب البعض إلى التصريح بأنه أخطر من الانتراكس الجمرة الخبيثة ومن داعش ومن طاعون التطرف الإسلامي، وقد ذهب أحد الرهبان المسيحيين إلى تشبيه الترانس بأنه محاولة يائسة لجعل الإنسان إلهًا. حتى مواقف كثير من الفلاسفة اتسمت بنوع من الحذر والتحفظ وأدرجوا في خانة المحافظين البيولوجيين [...]تطرح الثورة البيوتكنولوجية اليوم على الفكر الإنساني بنوعيه الحداثي والتقليدي تحديات فكرية كبرى؛ لأنها تلامس قضايا في غاية الدقة والحساسية: الطبيعة الإنسانية- الحياة- الموت- الخلود. إنها بالتأكيد موجات معرفية وتقنية جديدة تلطم كل الثقافات التقليدية وتخلخلها وتحفزها على التفكير وإعادة النظر في كثير من مسلماتها".

محمد سبيلا، "**الثورة البيوتكنولوجيا المعاصرة و آفاقها الفلسفية، الترانس: تكنوفاشية جديدة وإعلان حرب ضد النوع الإنساني**"، تمت زيارة الموقع الإلكتروني يوم 04-12-2023، ودونك الرابط:

https://www.alfaisalmag.com/?p=12993

9- "(...) لأن الوجود اليومي المتمركز حول الهاتف الذكي، والآيباد، والحاسوب المحمول، وأجهزة الإكس بوكس Xbox قد يغير جذريا ليس مجرد أنماط حياتنا اليومية، بل أيضا هوياتنا وحتى أفكارنا الداخلية بطريق لم يسبق لها مثيل".

سوزان غرينفليد، **تغير العقل: كيف تترك التقنيات الرقمية بصماتها على أدمغتنا**، ترجمة إيها عبد الرحيم علي، سلسلة عالم المعرفة، (الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، العدد 445، فبراير 2017)، ص 18.

10- انظر دراسة المحللة النفسية الفرنسية "إلزا غودار" لظاهرة "السيلفي" التي اعتبرتها بمثابة مؤشر على ثورة جديدة في عملية إدراك الذات لذاتها وللعالم الذي يحيط بها. للتوسع أكثر راجع: **إلزا غودار، أنا أوسيلفي إذن أنا موجود: تحولات الأنا في العصر الافتراضي**، ترجمة وتقديم سعيد بنكراد، (الدار البيضاء: المركز الثقافي للكتاب للنشر والتوزيع، 2019).

11- للإشارة أن هذه التكنولوجية الحديثة سرعت من وتيرة التغير الاجتماعي فقط، وإلاّ فالقرن العشرون كان حافلاً بالمتغيرات الكبرى التي كان لها الأثر على كافة المجتمعات البشرية، ويكفي مثلا التذكير بظاهرة العولمة التي أتت بعد استفراد الولايات المتحدة الأمريكية بقيادة العالم بعد سقوط جدار برلين، وما مارسته من تهديد على مسألة السلطة السياسية للدول نتيجة تدخل الشركات المتعددة الجنسيات باقتصاداتها واستثماراتها في الدول المستضيفة، وما يعينه ذلك من انعكاس على قراراتها السيادية، ثم توالي موجة الهجرات الدولية، وتطور وسائل الإعلام والاتصال، وتأثير كل ذلك على الثقافات المحلية والهويات الجماعية، وليس من الغريب الآن عودة اليمين المتطرف في الدول المستضيفة للهجرة على المستوى السياسي، وعودة إحياء النقاش في ما يتعلق بموضوع "الهوية" على المستوى الاجتماعي.

12- هناك من يطلق عليهم مصطلح "المواطن الرقمي" (Digital Native)، وهم من "لا يعرفون أي سبيل آخر للحياة غير ثقافة الإنترنت، والحاسوب المحمول، والهاتف النقال، وبوسعهم أن يتحرروا من قيود الأعراف المحلية والسلطة الهرمية، وباعتبارهم مواطنين عالميين مستقلين، يمكنهم تخصيص الأنشطة والخدمات المرتكزة على الشاشة أثناء التعاون مع، والمساهمة في الشبكات الاجتماعية ومصادر المعلومات العالمية".

سوزان غرينفيلد، **تغير العقل**، مرجع سابق، ص 21.

13- لا ينبغي أن يفهم من كلامنا أننا من أنصار الحتمية التكنولوجية التي تنظر للفرد ككائن مفعول به، بالقدر الذي نريد أن نبين أثر هذه الوسائل في إحداث التغير الاجتماعي.

14- «Virtual communities are social aggregations that emerge from the Net when enough people carry on those public discussions long enough, with sufficient human feeling, to form webs of personal relationships in cyberspace ». Howard Rheingold, **The Virtual Community: Homesteading on the Electronic Frontier**, (Massachusetts : Addison Wesley, 1993), p. 6.

قائمة البيبليوغرافيا

المراجع العربية

- بارني، دارن. (2015). *المجتمع الشبكي* (ترجمة أنور الجمعاوي). الدوحة/بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.
- الباهي، حسان. (2012). *الذكاء الصناعي وتحديات مجتمع المعرفة: حنكة الآلة أمام حكمة العقل*. الدار البيضاء: أفريقيا الشرق.
- بركات، نوال. (2014). الفضاء السيبيري والعلاقات الاجتماعية في المجتمع بين جغرافيا الواقع والجغرافيا الافتراضية. *مجلة علوم الإنسان والمجتمع*، 3(4)، 273-306.
- دولة، سليم. (1989). *ما الفلسفة* (ط.2). الدار البيضاء: دار قرطبة.
- لوتشيانو، فلوريدي. (2017). *الثورة الرابعة: كيف يعيد الغلاف المعلوماتي تشكيل الواقع الإنساني* (ترجمة لؤي عبد المجيد السيد). الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.

- غرينفليد، سوزان. (2017). *تغير العقل: كيف تترك التقنيات الرقمية بصماتها على أدمغتنا* (ترجمة إيها عبد الرحيم علي). الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.
- رحومة، علي محمد. (2008). *علم الاجتماع الآلي: مقاربة في علم الاجتماع العربي والاتصال عبر الحاسوب*. الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.
- قاوقاو، محجوبة. (2019). *المجتمع الافتراضي وإشكالية تجديد منهج البحث السوسيولوجي: نحو بناء نموذج لدراسة التفاعلات الالكترونية بواسطة الحاسوب*. *دورية عمران للعلوم الاجتماعية والإنسانية، 29*(29)، 89-114.
- سبيلا، محمد. (نوفمبر 1، 2018). الثورة البيو تكنولوجية المعاصرة وآفاقها الفلسفية. تم الاسترجاع من الرابط التالي: https://www.alfaisalmag.com/?p=12993

المراجع الأجنبية

- Rheingold, H. (1993). *The Virtual Community: Homesteading on the Electronic Frontier*. Massachusetts: Addison Wesley.
- Lalande, A. (1976). *Vocabulaire technique et critique de la philosophie*, Paris: P.U.F.
- Yakkaldevi, A. S. (2013). *Basic concepts of community*. Solapur: Laxmi Book Publication.

Romanization of Arabic Bibliography

- Barney, D. (2015). *Al-Mujtama' al-Shabaki [The Network Society]* (A, Al-Jumawi. Arabic Trans). Doha/Beirut: Arab Center for Research and Policy Studies.
- Al-Bahi, H. (2012). *Al-Dhika' al-Sina'i wa Tahaddiyat Mujtama' al-Ma'rifa: Hankat al-Ala Amama Hikmat al-'Aql [Artificial Intelligence and the Challenges of the Knowledge Society: The Machine's Cleverness vs. the Mind's Wisdom]*. Casablanca: Africa East.
- Barakat, N. (2014). Al-Fada' al-Siberi wa al-'Alaqat al-Ijtima'iyya fi al-Mujtama' bayn Jughrafiya al-Waqi' wa al-Jughrafiya al-Iftiradiyya [Cyberspace and Social Relations in Society between Physical Geography and Virtual Geography]. *Journal of Human and Social Sciences, 3*(4), 273-306.
- Dawla, S. (1989). *Ma al-Falsafa [What is Philosophy]* (2nd Ed.). Casablanca: Cordoba Publishing House.
- Floridi, L. (2017). *Al-Thawra al-Rabi'a: Kayfa Yu'id al-Ghilaf al-Ma'lumati Tashkil al-Waqi' al-Insani [The Fourth Revolution: How the Infosphere is Reshaping Human Reality]* (L, Al-Sayyid. Arabic Trans). Kuwait: National Council for Culture, Arts, and Letters.
- Greenfield, S. (2017). *Aghayyur al-'Aql: Kayfa Tatruk al-Taqniyat al-Raqmiyya Basamatihā 'ala Adhghimatina [Mind Change: How Digital Technologies Are Leaving Their Mark on Our Brains]* (I, Ali. Arabic Trans). Kuwait: National Council for Culture, Arts, and Letters.

- Rahuma, A. (2008). *Ilm al-Ijtima' al-Ali: Muqaraba fi 'Ilm al-Ijtima' al-'Arabi wa al-Ittisal 'Abr al-Hasub [Automated Sociology: An Approach in Arab Sociology and Computer-Mediated Communication]*. Kuwait: National Council for Culture, Arts, and Letters.

- Kaoukaou. M (2019). Al-Mujtama' al-Iftiradi wa Ishkaliyyat Tajdid Manhaj al-Bahth al-Susyuluji: Nahwa Bina' Namudhaj li Dirasat al-Tafa'ulat al-Iliktruniyya bi Wasitat al-Hasub [The Virtual Society and the Problem of Renewing Sociological Research Methodology: Towards Building a Model for Studying Electronic Interactions via Computer]. *Omran: Journal for Social and Human Sciences, 29*(29), 89-114.

- Sabila, M. (November 1, 2018). Al-Thawra al-Biyo Taqnolojiyya al-Mu'asira wa Afaquha al-Falsafiyya [The Contemporary Biotechnological Revolution and Its Philosophical Horizons]. Retrieved from https://www.alfaisalmag.com/?p=12993